مدرسة الإسكندرية

طقس أسبوع البصخة المقدسة (١)

رفيق عادل

إن لم تؤمنوا فلن تفهموا

العدد الرابع - ٢٠١٠

مجلة مدرسة الإسكندرية

عدد ٤

طقس أسبوع البصخة المقدسة (١)

إعداد: رفيق عادل

طقس أسبوع البصخة المقدسة (١)

إعداد م. رفيق عادل

تمهيد:

لمَّا كان لأسبوع آلام مخلِّصنا أهمية كبيرة في طقس كنيستنا القبطية، إذ أنه مركز السنة الليتورجيَّة منذ القرون المسيحيَّة الأولى، شرعنا في القيام بسلسلة دراسات عن طقس أسبوع البصخة المقدسة والتعرُّف إلى تطوره التاريخي. وهدف هذه الدراسة هو التعمُّق في دراسة تاريخ طقوسنا ومعرفة التغيرات التي طرأت عليها على مرِّ العصور.

ولعلّ دراسة التطوُّر التاريخي للنصوص الليتورجية تهدف بالأساس إلى تأصيل العبادة الكنسيّة، كما تشير إلى دور الكنيسة في كلّ عصر على توجيه سير العبادة بحسب المقتضيات الاجتماعيّة والثقافيّة، وهي بهذا لا تكون منعزلة عن الواقع الإنساني، بل متفاعلة معه. من هنا نقف على حقيقة أنّ كلّ دراسة تشرح الأصول وتَسرِد التطوُّر النصِّي لصلواتنا الكنسيّة هي شهادة على عدم جمود الكنيسة، وقدرتها على تقديم العبادة في قالب معاصر لا ينعزل عن واقع الناس، ولكنه يلامسه، كما أنّها لا تتنازل، في الوقت ذاته، عن كل ما هو جوهري وأصيل ومُعبِّر عن الإيمان ومُسلَّم من القديسين.

ترجع أهمية أسبوع البصخة المقدسة إلى أنه مرتبط بعيد الفصح المقدس - أي عيد القيامة المجيد - ففي هذا العيد اعتاد بطاركة الإسكندرية أن يرسلوا رسائل فصحية[1] إلى جميع الكنائس، وقد تمَّ الاتفاق على هذه العادة

[1] ترجع أقدم إشارة واضحة إلى الرسائل الفصحية التي كان يُرسلها بطاركة الإسكندرية إلى القرن الثالث الميلادي، وبالتحديد في عصر البابا ديونيسيوس السكندري؛ البطريرك الرابع عشر على كرسي مار مرقس الرسول.
انظر: يوسابيوس القيصري، *تاريخ الكنيسة*، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، الطبعة الثانية مايو ١٩٧٩، ف ٢٠:٧، ص ٣٦٥-٣٦٦.

في مجمع نيقية المسكوني سنة ٣٢٥م لتحديد وتوحيد الاحتفال بعيد الفصح[٢] في الكنيسة الجامعة.

وأيضًا، في هذا الأسبوع؛ في يوم خميس العهد، أسَّس لنا السيد المسيح سِرَّ الشكر (الإفخارستيا) لكي يهب لنا الشركة الدائمة معه، كهدف رئيسي من خلقتنا، ولكي يضمن للإنسان عدم فقدانه لها مرة أخرى كما حدث في السقوط.

سنعتمد في دراستنا هذه على القوانين الرسولية وقوانين البطاركة وكتابات الآباء، ودراسة أقدم وأهم المخطوطات القبطية التي حفظت لنا هذا الطقس. وقبل ذلك علينا التعرُّف إلى التسميات المتعددة لهذا الأسبوع.

أولاً. تسمية الأسبوع:

سُمي هذا الأسبوع في أورشليم بـ «الأسبوع العظيم Μεγάλη Ἑβδομάδα» كما سُمي في إسبانيا بـ «أسبوع البصخة Paschal Week» كما ذكرت الراهبة إيجيريا في مذكراتها لكونها راهبة أسبانية. وفي الغرب أُطلق عليه اسم «الأسبوع المقدس Holy Week» أو «La Semaine Sainte».

أما التسمية القبطية لهذا الأسبوع فهي **ⲡⲓⲡⲁⲥⲭⲁ ⲉⲑⲟⲩⲁⲃ** أي «البصخة المقدسة». وقد ذُكرت هذه التسمية في أغلب المخطوطات القبطية، وهى التي ذكرها أيضًا الشيخ الصفي ابن العسال في كتابه «المجموع الصفوي» [٣] أو «ترتيب جمعة البصخة»، كما ذكرها كذلك القس برصوم شمس الرياسة

---

[٢] ظل آباء الكنيسة طوال القرون الثلاثة الأولى يجاهدون لتوحيد هذا العيد، حتى صدر قرار مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ليكون موعد الاحتفال بعيد القيامة في الأحد التالي ليوم ١٤ من نيسان العبري الذى يقع دائمًا في وقت الاعتدال الربيعي حتى لا يُعيّدوا قبل اليهود أو معهم، واستمرت الكنائس تسير على هذا النظام إلى أن أصدر البابا غريغوريوس الثالث عشر بابا روما أمره بالإصلاح المشهور في ٥ أكتوبر سنة ١٥٨٢م ممّا ترتب عليه انقسام الكنيسة إلى فريقين: أولهما يتمسّك بقرار مجمع نيقية وهم الأقباط والروم والروس والسريان والأحباش ومن معهم من الشرقيين، إذ سار تقويم الشهداء لديهم على النظام اليولياني المأخوذ عن التقويم المصري القديم وذلك باحتساب يوم الكبيس فى كل أربع سنوات مرة على طول الخط. فقد وصل الفرق الآن ١٣ يوما منذ مجمع نيقية حتى الآن، والثاني من التابعين لكنيسة روما يتبع الإصلاح الغريغوري في التقويم (التقويم الغربي).

[٣] راجع: مخطوط ٢٤٥ عربي بالمكتبة الوطنية الفرنسية بباريس، المجموع الصفوى لابن العسال، الباب الخامس عشر.

أبو البركات الشهير بابن كبر في موسوعته الشهيرة «مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة»[٤]. كما سميت في بعض المخطوطات باسم «جمعة الآلام المحيية».

أما عن أصل كلمة «بصخة» فهي مشتقة من الكلمة العبريّة פֶּסַח «فِ صَ ح»[٥] التي عُرفت عربيًّا باسم «فصح Passover» أي عبور. وكان الفصح عند اليهود التذكار السنوي لتاريخهم كله، كخلاص، كعبور من عبودية فرعون إلى الحرية، من السبي إلى أرض الموعد. والمسيح كان كمال الفصح. المسيح هو الذي حقَّق هذا العبور الحق؛ من الموت إلى الحياة.

ثانيًا ـ ضمُّ الصوم الكبير إلى أسبوع البصخة:

إننا لم نجد في كتابات الآباء والقوانين الرسولية أن ذكرى الآلام الخلاصية قد حُفظت كأيام صوم مستقلة حتى القرن الثاني الميلادي، كما كانت في ذلك الوقت محفوظةً عند البعض دون الآخر (دون تحديد مُدّة هذا الصوم). ونستدل على ذلك من شهادة ترتليانوس التي ذكرها في رسالته إلى زوجته[٦]، وشهادة العلامة أوريجانوس في عمله ضد كلسس[٧].

بينما في القرن الثالث تحدَّدت مدة هذا الصوم دون الاتفاق المُطلق عليه، حيث يشهد كتاب الترتيب الكنسي المصري (٢١٥م) والذي حُفظ باسم «التقليد الرسولي لهيبوليتس» بأن صوم الفصح لم يكن سوى يومين فقط هما

---

[4] A. Wadi, Abū al-Barakāt Ibn Kabar, Miṣbāh al-Żulmah (cap. 18: il digiuno e la settimana santa), *Studia Orientalia Christian* (Offprint from *SOC-Collectanea* 34, 2001), Cairo-Jerusalem 2001, pp. 233- 322.

[٥] كان شائعًا ومنتشرًا في الكنيسة الأولى أن الاشتقاق اللغوي للكلمة العبرية (فِ صَ ح) بمعنى «فصح / عبور» من الجذر اليوناني «παθειν»، رغم أن هذا غير صحيح، ولكن جذرها يأتي من اللغة المصرية القديمة، فهى مأخوذة من الكلمة المصرية القديمة «بيصه Pesh» والتى تعنى «يبسط جناحيه فوق» للحماية.

ولمعرفة المزيد عن كلمة فصح، راجع: روفائيل البرموسي (القمص)، *المسيح فى الأعياد اليهودية*، دير السيدة العذراء – برموس، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م، ص ٢٨-٢٩.

[6] *ANF-4*, Tertullian, *To his Wife*, ed. by Phillip Schaff, book 1-2, translated by the Rev. S. Thelwall, Grand Rapids, pp. 39-49.

[7] *ANF-4*, Origen, *Against Celsus*, ed. by Phillip Schaff, book 1, chapter 8, translated by the Rev. Frederick Crombie, D.D., Grand Rapids, p. 399.

«**الجمعة والسبت**» [٨]. ويخبرنا كذلك يوسابيوس القيصري في مؤلفه «تاريخ الكنيسة»، فيقول: [فالبعض يظنون أنهم يجب أن يصوموا يومًا واحدًا، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر. والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهارًا وليلاً. وهذا الاختلاف في حفظ الصوم لم ينشأ في أيامنا، بل في أيام آبائنا قبل ذلك بوقت طويل] [٩].

أما المصادر التي تشهد بأن صوم أسبوع البصخة كان «**ستة أيام**» كما نعرفه الآن - وهو ما قد ظهر أولاً في كنيسة أورشليم - فهى كالآتي:

- الدسقولية السريانية[١٠] أي تعاليم الرسل التي تم تدوينها في شمال سوريا مابين عامي (٢٠٠ - ٢٥٠ م)
- شهادة البابا ديونيسيوس السكندري (٢٤٨ - ٢٦٥م)
- الرسائل الفصحيّة للقديس أثناسيوس السكندري البطريرك العشرين (٣٢٨ - ٣٧٣م)[١١]
- قوانين هيبوليتس[١٢] (٣٤٠م)
- القوانين الرسولية[١٣] (٣٨٠م)

---

[٨] راهب من الكنيسة القبطية، التقليد الرسولي، مكتبة المنار، سلسلة مصادر طقوس الكنيسة ١/٢، الطبعة الأولى مايو ٢٠٠٠م، ص ١٧٦.

[٩] يوسابيوس القيصري، *تاريخ الكنيسة*، ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة، الطبعة الثانية مايو ١٩٧٩، ف ٢٤:٥، ص ٢٧٨.

[١٠] *الدسقولية أو تعليم الرسل*، ترجمة القمص مرقس داود، إصدار مكتبة المحبة، الطبعة الخامسة، أغسطس ١٩٧٩، ف ٣١، ص ١٥٥.

[١١] الرسالة الفصحية الثانية للبابا اثناسيوس الرسولي (٣٢٨-٣٧٣ م) والتي كتبها سنة ٣٣٠م.
انظر: *الرسائل الفصحية*، القديس أثناسيوس الرسولي، ترجمة د. وهيب قزمان بولس، المركز الأرثوذكسي للدراسات الآبائية بالقاهرة، الطبعة الأولى أبريل ٢٠٠٦م، جـ١، ص ٤٦.

[١٢] أثناسيوس، راهب من الكنيسة القبطية، *قوانين هيبوليتس القبطية*، سلسلة مصادر طقوس الكنيسة ١/١١، الطبعة الأولى أكتوبر ٢٠٠٤م، ص ٢٠٣.

[١٣] أثناسيوس، راهب من الكنيسة القبطية، *المراسيم الرسولية*، سلسلة مصادر طقوس الكنيسة ١/٣، الطبعة الأولى أكتوبر ٢٠٠٤م، ص ٢٤٢.

ولقد كان الصوم الأربعيني منفصلاً عن صوم أسبوع الآلام خلال مرحلة تاريخيّة معينة، وكان الصوم يبدأ بعد عيد الإبيفانيا «Επιφάνεια» (عيد الغطاس) مباشرة أي في اليوم الثاني عشر من شهر طوبة على نحو ما فعل مخلصنا له المجد[١٤]، ثم يفطرون في اليوم الثاني والعشرين من أمشير وبعد ذلك بمدّة يعملون جمعة الآلام ويختمونها بعيد القيامة.

وظلّ الحال هكذا حتى أيام البابا ديمتريوس الكرّام، البابا الثاني عشر من باباوات الإسكندرية (١٨٨ ـ ٢٣٠م)، الذي في عهده تقرَّر أن يكون أسبوع الآلام لاصقًا ومكمِّلاً للصوم الأربعيني، وظلت مدة الصومين معًا أربعين يومًا؛ وبمعنى آخر، كان الصوم الكبير ذو الأربعين يومًا ينتهي يوم الجمعة العظيمة وليس جمعة ختام الصوم ـ كما هو متّبع الآن ـ أي أن فترة الصوم الكليَّة أربعين يومًا فقط متضمنة أسبوع الفصح المقدس. وهذا ما تؤكده الرسالة الفصحيّة الثانية للبابا أثناسيوس الرسولي[١٥] والتي أكد فيها أنّ الفصح المسيحي في الأحد التالي لفصح اليهود، و هو التقليد الذي اتَّبعته كنائس مصر وفلسطين وروما.

وقد شدد البابا ديمتريوس على ذلك في رسائله إلى بطاركة الكراسي الثلاثة وهم: فيكتور أسقف روما، ومكسيموس بطريرك أنطاكية، وأغابيوس أسقف أورشليم، وبذلك توحَّد النظام فصار الصوم الأربعيني سابقًا مباشرةً لأسبوع البصخة بعد أن كان منفصلاً عنه. إلاَّ أن بعض الشرقيين تمسَّكوا بالاحتفال بالفصح يوم ١٤ نيسان[١٦] مع اليهود سواء وقع يوم أحد أم

= انظر أيضًا: *القوانين الرسولية*، تعريب جورج نصور، جامعة الروح القدس - الكسليك، أقدم النصوص المسيحية : سلسلة النصوص الليتورجية رقم ٦، الطبعة الأولى ٢٠٠٦.

[١٤] انظر: متى ٣: ١٣ – ٤: ٢؛ مرقس ١: ٩ – ١٣.

[١٥] انظر: *الرسائل الفصحية*، القديس أثناسيوس الرسولي، مرجع سابق.

[١٦] وهذا ما عُرف في القرن الثاني بجماعة الأربعة عشريون «Quartodecimans». وهم مسيحيون من آسيا الصغرى تتبعوا التسلسل الزمني الخاص بالفصح في إنجيل يوحنا، لذلك احتفلوا بعيد القيامة في اليوم الرابع عشر من بزوغ القمر في الربيع؛ أي نفس تاريخ فصح اليهود وهو يوم ١٤ نيسان حسب التقويم اليهودي ولذلك يكسرون صومهم في هذا اليوم. ويرتكز الاحتفال بعيد القيامة في اليوم الرابع عشر من نيسان على ذبيحة المسيح كخروف الفصح الحقيقي. وفي نهاية القرن الثاني، حاول كاهن يُدعى بلاستوس أن يُمارس الاحتفال بالقيامة في اليوم الرابع = = عشر من شهر نيسان

لا، بحجة أن هذا ما تسلموه من بوليكاربوس أسقف أزمير، تلميذ يوحنا الرسول.

ولعلّ صوم الـ «ستة أيام» لم يستقر إلاَّ بعد أن أصدر الإمبراطور قسطنطين الكبير أمرًا، بعد مجمع نيقية، بحفظ هذه الأيام. وبسبب ذلك الأمر ازدات أهميّته واتّسع حفظه أكثر من ذي قبل. وهو ما ذكره يوسابيوس القيصري[١٧]، والمؤرِّخ سوزمين[١٨].

إذًا فصوم أسبوع البصخة بدأ بيومين فقط، في البداية، منفصلاً عن الصوم الكبير، إلى أن أصبح أسبوعًا بعد ذلك، مُلتصقًا بالصوم، واستقر هكذا منذ القرن الرابع وحتى يومنا هذا.

ثالثًا. طقس البصخة المقدسة في القرون الأولى:

إن أقدم مخطوط يحتوي على أول وصف كامل لطقس أسبوع البصخة بدءًا من سبت لعازر وحتى فجر عيد القيامة المجيد يعود للقرن الرابع وهو المخطوط الذي كتبته الرحَّالة الراهبة إيجيريا Egeria التي عاشت في القرن الرابع وعاصرت القديس كيرلس الأورشليمي[١٩]. في هذا المخطوط تُسجِّل مُذكراتها عمَّا شاهدته عندما حضرت احتفالات البصخة المقدسة وقت زيارتها للأراضي المقدَّسة في الفترة ما بين عامي ٣٨١م و٣٨٤م.

ويُنادي بهذا المعتقد في روما، ولكن تصدَّى له البابا فيكتور ودخل في مواجهة علنية مع الكنائس الشرقيّة التي تحتفل بعيد القيامة في هذا الوقت. ولعلّ أكثر مَنْ تبع هذا الرأي كان ميليتو أسقف ساردس، أبوليناريوس أسقف هيرابوليس والقديس بوليكاربوس أسقف سميرنا. ولكن بعد أن صدر قرار مجمع نيقية سنة ٣٢٥م القائل بأن يُحتفل بالفصح المسيحي يوم الأحد الأول بعد الفصح اليهودي انحسر وجود مَنْ يتبع هذا المعتقد، وصاروا مجموعات صغيرة في أطراف الشرق المسيحي.

انظر: تادرس يعقوب ملطي (القمص)، *نظرة شاملة لعلم الباترولوجي في الستة قرون الأولى*، إصدار كنيسة مار جرجس، أسبورتنج- الإسكندرية، ط. ١، يناير ٢٠٠٨، ص ٣٣٢-٣٣٣. وأيضًا:

Encyclopedia of the Early Church, ed. by A Di Berardino, Oxford University Press, New York, (1992), p. 728.

[١٧] *حياة قسطنطين الكبير*، يوسابيوس القيصري، ك ١،٤ ف ١٨.

[١٨] *التاريخ الكنسي*، المؤرخ سوزمين، ك١، ف ٨.

[١٩] عظات كيرّلس الأورشليمي، ترجمة جورج نصور، جامعة الروح القدس - الكسليك، أقدم النصوص المسيحية : سلسلة النصوص الليتورجية رقم ٢، الطبعة الأولى ١٩٨٢.

ونلاحظ من وصف المخطوط[٢٠] أنّ طقس كنيسة أورشليم في القرن الرابع كان يسير على النسق التالي:

١- لم تبدأ احتفالات الشعانين في عشية الأحد، بل في يوم أحد الشعانين نفسه، حيث خُصِّص يوم سبت لعازر بالكامل تذكارًا لاقامته من الموت. وكانت تبدأ دورة الشَّعانين في الساعة الخامسة من مساء يوم الأحد ولا تنتهي إلاَّ في ساعة متأخرة من الليل.

٢- لم تبدأ صلوات البصخة في أحد الشعانين بل في الساعة التاسعة من يوم إثنين البصخة.

٣- لم تذكر الراهبة إيجيريا صلاة الجُنَّاز العام لا في يوم أحد الشعانين ولا في الأيام التالية، ومن ثم فهو طقس مصري (قبطي) صميم، لا تعرفه أي كنيسة رسولية (تقليدية) أخرى سوى الكنيسة القبطية.

٤- يُقسَّم النهار والليل إلى ساعات تُقرأ خلالها فصول من الكتب المقدَّسة تناسب اليوم والوقت، وتتخللها دائمًا الصلوات والتسابيح والإنديفونات[٢١].

٥- كان يخلو من طقس غسل الأرجل، ولكنه أُضيف إلى طقس أورشليم في القرن الخامس. وهذا الطقس كان موجودًا في أماكن دون الأخرى في ذلك الوقت[٢٢].

---

[٢٠] انظر: أقدم مخطوط تحتوي على طقس أسبوع البصخة، سلسلة دراسات في البصخة المقدسة -١، ترجمة ودراسة الشماس فيكتور بشير، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

وأيضًا: أيجيريا، *يوميات رحالة*، تعريب نعمة الله الحلو، بيروت: منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط، أقدم النصوص المسيحيّة: سلسلة النصوص الليتورجيّة رقم ٥، الطبعة الأولى ١٩٩٤.

[٢١] أنديفونات جمع لكلمة أنديفونا، وهى كلمة يونانية الأصل τὸ ἀντίφωνον ἀντί، مكونة من مقطعين، المقطع الأول يعني «مُقابل» أو «ضد»، والثاني φώνον أي «صوت». تأتي كأصطلاح ليتورجي بمعنى: «صوت مقابل صوت».

[٢٢] حيث يشهد القديس أمبروسيوس على هذا بقوله: [إنه من المعروف أن كنيسة روما ليس فيها طقس غسل الأرجل... وأنه يتم كاملاً في أماكن أخرى، وإني أحافظ عليه شخصيًا]، انظر:

Fathers of the Church, St. Ambrose: *The Theological and Dogmatical Writings*, Translated by Roy J. Deferrari, Ph.D., the Catholic University of America, Washington (1963), V.44, p. 291.

٦. كان يُقام قداسان يوم خميس العهد.

٧. كان يتمّ تكريم الصليب يوم الجمعة الكبيرة حيث إنه كانت توضع «خشبة الصليب» المقدسة ليُقبِّلها الجميع. ولقد دافع القديس كيرلس الأورشليمي عن تكريم الصليب في كتاباته.

٨ . لم يكن طقس دفن الصليب موجودًا في أورشليم في القرن الرابع ولكنه ظهر بعد ذلك ضمن طقوس الجمعة العظيمة.

٩. لم تذكر الراهبة إيجيريا «دورة الصليب» في يوم الجمعة الكبيرة، إذ لم يتضمنها الطقس حينذاك، بينما نجد كتاب الطقوس الروماني يذكر أن طقس دورة الصليب كان يتم في يوم الجمعة الكبيرة، فيتحدث عن الأسقف يدور (في الدورة) حاملاً مجمرة، يُبخِّر بها أمام الصليب.

رابعًا . البصخة المقدسة حسب ترتيب آباء الكنيسة القبطية:

تندر الإشارات التي ترشدنا عن أية تفاصيل عن طقس (أو طقوس) أسبوع الآلام في كنيستنا القبطية قبل عصر القس ابن كبر (السابق الذكر)؛ فالإشارة الوحيدة التى نعرفها في القرون الأولى أنّ القديس البابا كيرلس عمود الدين، البطريرك السكندري، الرابع والعشرون، قد وضع طقسًا للاحتفال بأسبوع الآلام المحيية قبل رسامته بطريركًا[٢٣]، بينما تذكر بعض المراجع أن العادة منذ القرون الأولى للمسيحية وحتى القرن الثاني عشر كانت أن تُقرأ قراءات منتقاة من العهدين الجديد والقديم، إذ لم تكن قد حُدِّدت بعد، قراءات ونبوات ثابتة لأسبوع البصخة المقدسة، وهذا ما ذكرته بصخة دير القديس الأنبا مقار بوادي النطرون (ولعل هذا ما كان مألوفًا في الأديرة فقط).

= ومن قوله هذا نستدل على أن هذا الطقس كان موجودًا في ميلانو / إيطاليا في القرن الرابع وهي المدينة التي كان أسقفًا عليها. وأيضًا يذكر القديس أغسطينوس أن البعض لم يقبل هذا الطقس، لئلا يصبح جزءًا من سر المعمودية، والبعض لم يعترف به كطقس، والبعض الآخر يتممه. كما يذكر: [أن طقس غسل الأرجل هو بمثابة عادات (Customs) تختلف من مكان لآخر، حيث إنه لا يوجد إلزام بها]، أنظر:

Fathers of the Church, St. Augustine: *Letters Volume I (1-82)*, Translated by Wilfrid Parsons, the Catholic University of America, Washington (1951), V. 12, p. 289.

[٢٣] أسد رستم، كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى، ج ٢، منشورات المكتبة البولسية – لبنان، ١٩٨٨، ص ١٩٨.

غير أنه لم تكن لطقوس وقراءات البصخة المقدسة كتاب مستقل بالشكل المتعارف عليه الآن حتى القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد حتى زمن البابا الأنبا غبريال الثاني الشهير بابن تريك، السبعون من باباوات الإسكندرية (١١٤٦م)، إذ كانت قراءات البصخة حتى عهده ضمن قراءات قطمارس الصوم المقدس[٢٤]، وهذه القراءات كانت تحتوي على قراءات قداس أحد الزيتونة (الشعانين) وقداس الخميس الكبير وقداس سبت الفرح والفصح المُقدَّس، بيد أن قراءات أيام الإثنين والثلاثاء والأربعاء لم تكن قد حُدِّدت بعد. كما لم تكن حُدِّدت، أيضًا، بعضُ طقوس أسبوع الآلام التي تمارس الآن مثل صلاة طقس غسل الأرجل الذي يقام الآن قبل قداس الخميس الكبير[٢٥].

وهو ما يذكره مخطوط ١٩ قبطي بالمكتبة الأهلية بباريس، وهو عبارة عن مخطوط قطمارس لقراءات الصوم المقدس ويحتوي على قراءات أحد الزيتونة (الشعانين) والخميس الكبير وسبت الفرح وهى القراءات المحددة في أسبوع البصخة التي كان متعارفًا عليها قبل زمن البابا غبريال بن تريك (القرن الثانى عشر) دون أن يذكر قراءات لصلاة طقس القصرية (اللَّقَّان)[٢٦].

---

[٢٤] راجع على سبيل المثال لا الحصر: مخطوط ٣ قبطى بمكتبة بودليان بأكسفورد، وهو يحوى قراءات سبوت وأحاد الصوم المقدس وأسبوع الآلام وهذا هو الترتيب الأقدام لقراءتهم. ولعلنا نقدم دراسة مستفيضة عن هذا المخطوط القديم والهام في حلقة لاحقة من سلسة دراساتنا هذه.

[٢٥] وهو طقس قداس اللقان الذى يقام يوم خميس العهد في كنيستنا القبطية، إذ كان يقام هذا الطقس خلال القداس وليس قبله كما هو الحال الآن. والذي قام بتعديل هذا النظام هو البابا يوأنس السابع الـ ٧٨ (١٢٦٦-١٢٩٥م) الشهير بابن أبي سعيد السُكَّري، انظر: مخطوط ترتيب البصخة بدير البرموس، تاريخه ٢٢ أمشير ١٠٤٥ للشهداء (الخميس ٢٤ فبراير ١٣٢٩م)، نقلاً عن: القمص أرمانيوس حبشي شتا البرماوي، «أسبوع الالام وكتاب البصخة»، مجلة رسالة المحبة، السنة الخامسة، العدد الرابع أبريل ١٩٣٩م – برمودة ١٦٥٥ ش، ص ٢٤٦-٢٤٧.

وقد أكَّد على هذا أيضًا: مخطوط ٩٠ قبطي بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان والذي يذكر مجموعة من المعلومات الأخرى الجديرة بالأخذ في الأعتبار، مثل:[ولا يغسل الأرجل ولا يُقالوا الثلاثة أواشي بل عند فروغ الإنجيل يقالوا الأمانه ولا تقال أوشية الأسبسمس (أوشية السلام) لأجل قبلة يهوذا بل يصوت الشماس **προσφαριν** ولا...]، ولا نعلم في أي زمن بالتحديد أُضيف هذا الطقس وبقى حتى الآن، ولعلّ الدراسة التي سنقدمها عن بعض المخطوطات الهامة تنتهي بنا إلى نتيجة جديدة. راجع صورة هذا المخطوط في نهاية المقال.

[٢٦] حيث لم يذكر المخطوط طقس غسل الأرجل الذي كان يقام خلال القداس وتحديدًا بعد قراءة الإنجيل وذلك قبل التعديل الذي قام به البابا يوأنس السابع ابن أبي سعيد السكري الـ ٧٨ في القرن الثالث عشر كما ذكرنا سابقًا. ولكن= =

وجدير بالذكر أنه كانت هناك عادة بحفظ القربان المقدَّس من يوم أحد الشعانين إلى يوم الأربعاء من أسبوع البصخة، وقد أبطل هذه العادة البابا خريستوذولُوس السادس والستون من بابوات الكرسي الإسكندري (١٠٤٦ - ١٠٧٧ م)[٢٧].

خامسًا - ترتيب قراءات أسبوع البصخة المقدسة:

أمَّا عن انتخاب قراءات أسبوع البصخة المقدسة، فقد أخبرنا مخطوط ٣١٢ طقس بالمتحف القبطي بالقاهرة، أنَّ العادة القديمة هي أن يُقرأ الكتاب المُقدَّس بعهديه كاملاً بالكنيسة، غير أنَّ هذا الأمر كان صعب التنفيذ في أكثر الأحيان، حتى جاء عهد البابا غبريال الثاني بن تُريك (السابق الذكر) الذي جمع عددًا من آباء الكنيسة وعلمائها مع عددٍ من رهبان دير أنبا مقار، ووضعوا نظامًا لقراءات هذا الأسبوع، يُقسَّم النهار والليل إلى ساعات تُقرأ خلالها فصول النبوات والأناجيل المتضمِّنة آلام السيد المسيح، المناسبة لليوم وللوقت، خمس ساعات ليليَّة وخمس ساعات نهاريّة - وهو ما قد ظهر أولاً في كنيسة أورشليم كما ذكرنا سابقًا - وخصِّص لكل ساعة قراءات معينة، ورتبها طبقًا لسير الأحداث في الأسبوع الأخير من حياة مُخلِّصنا على الأرض، ونترك الكلام لشهادة المخطوط إذ يذكر:

ذكر قراءة إنجيل القداس، وقال: [لا يُقرأ الأسبسمس أو أوشية السلام بل تقرأ الأمانة ولا يُقال التراحيم أو التحليل بعد القربان بل تقرأ نبوة من أشعياء]. راجع صورة هذا المخطوط في نهاية المقال.

ومن ذلك نستنتج أن طقس اللقان وُضع بعد القرن الثاني عشر أى بعد أو خلال زمن البابا غبريال الثاني وكان يقام خلال القداس حيث يبدأ بالصلاة على ماء اللقان بعد الساعة التاسعة من يوم الخميس ويغسل الأرجل بعد قراءة الإنجيل حتى القرن الثالث عشر زمن البابا يؤانس السابع الذى قام بتعديل وضع هذا الطقس كاملاً إلى ما قبل القداس وليس خلاله كما ذكرنا سابقًا، وأصبح له طقس وقراءات وقدَّاس مستقل كما هو متعارف عليه الآن والذى يطلق عليه «قداس لقان خميس العهد».

[٢٧] تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية المعروف بسير البيعة المقدسة لساويروس ابن المقفع أسقف الأشمونين، مطبوعات جمعية الآثار القبطية، قام على نشره يسى عبد المسيح وعزيز سوريال وأسولد برمستر؛ تاريخ بطاركة الكنيسة القبطية، الأنبا ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين، قام على نشره ب. ايفيت، باريس ١٩٠٤ م؛ تاريخ مصر من خلال مخطوطة تاريخ البطاركة لساويرس ابن المقفع، إعداد وتحقيق عبد العزيز جمال الدين، مكتبة مدبولى، الجزء الثالث/ المجلد الأول، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص ٨١٦-٨١٨.

[مُرتِّب هذا المصحف (الكتاب) ابن تريك الاب انبا غبريال السبعون من البطاركة (الذى) كان مغبوطا معلما عالما، فرأى الناس بخدمة السلاطين، لم يقدروا (أن) ياتوا لتكملت البسخة. فجمع حكما وفهما ورهبان كثير من دير ابى مقار الطوبانى، فاخذوا من الحديثة والعتيقة وجعلوا كتابًا واسموه البسخة لكي يعملوا العيد كالعاده ببهجه وتهليل في ساير الكنايس ... ومن بعد هذا (أي من بعد البابا غبريال الثاني بن تُريك) كان الاب المكرم الأنبا بطرس اسقف البهنسا اخذ ينظر فيها متعجب جدا، لانهم جعلوا فى ساعة نبوات كثيرة واناجيل غير ملائمة، لانهم لم يعملوا فى ساعة الا انجيل واحد وهو تعجب لذلك. فأخذ كتاب الانبياء والانجيليين ثم العظات [٤٢٦ ظ] وابتدوا يكتبون منهم كلهم، ومن يشوع بن شيراخ ومن سليمان الملك، وعملوا لكل ساعة الذى يناسب لها حتى صاروا كلهم متساوين ببعضهم. ورتب لكل يوم عملوا عظتين، واحدة باكرا، والاخرى للمساء...][٢٨]

وجمع كل ذلك في الكتاب المعروف باسم «الدلاَّل»[٢٩] أو «كتاب البصخة».

وكان من المُتَّبع في القرن الثالث عشر الميلادي أن تُقرأ الأربعة أناجيل يوم أحد الشَّعانين وفي كل ليلة من ليالي الثلاثاء والأربعاء والخميس من البصخة تُقرأ بشارة على التوالي: متّى، ومرقس، ولوقا، وليلة الجمعة تُقرأ فصول مرتبة من الأناجيل الأربعة، وليلة السبت تُقرأ المزامير، وليلة الأحد (الفصح) يُقرأ إنجيل يوحنا، وفي القداس تُقرأ فصول القيامة من الأناجيل الأربعة[٣٠] وهذا ما

[٢٨] انظر مخطوط ١٧٩ مسلسل/ ٣١٢ طقس بالمتحف القبطي بالقاهرة، الورقة ٤٢٦ ج –٤٢٦ ظ، وهذه النسخة كانت وقفًا على كنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة والذي يرجع تاريخه إلي سنة ١٦٢٦م.

[٢٩] كلمة دلاَّل مأخوذة من الفعل «دلّ» أي أرشد إلى شيء والدلاَّل هو الكتاب الطقسى الذي يُرشد إلى أسلوب تكميل الخدمة الطقسية للمناسبة ولدينا في الكنيسة القبطية دلاَّل أسبوع الآلام ودلال اللقان والسجدة .

[٣٠] أنظر مخطوط OR. 425 محفوظ بالمكتبة البريطانية، ويرجع تاريخ نسخه إلى ١٠٢٤ ش (١٣٠٨م) نسخه أبي سعيد بن سيد الدار بن أبي الفضل (+ ١٣٢٢م)، وهو منقول عن مخطوط أقدم منه يرجع تاريخه إلى ٢٦ مسرى = = ٩٣٦

يؤكِّده المؤتمن بن العسّال الذى كان مُعاصرًا للبابا كيرلس الثالث الشهير بابن لُقلُق الـ ٧٥ (١٢٣٥ ـ ١٢٤٢م) فى مؤلَّفه «مقدمة البصخة المقدسة»[٣١] ولعلّ هذا ما كان متّبعًا فى الكنيسة المعلقة «بصخة أهل مصر».

ولابد أن نذكر أن معظم الذين كتبوا عن طقس أسبوع الالآم، قد ذكروا أن الفضل لتهذيب هذا الطقس يرجع للبابا غبريال الثاني الشهير بابن تريك الـ ٧٠، ولم يذكر أحد دور البابا غبريال الثالث الشهير بابن فخر الكفاءة، البابا الـ ٧٧ (١٢٦٨ ـ ١٢٧١م) ابن شقيق الأنبا بطرس أسقف طنبدي المعروف بالشامي، والذي تنيح في ١٢٧٤م، الأمر الذي سوف ندرسه في حلقة لاحقة.

وجديرٌ بالذكر أنه حتى عصر القس ابن كبر ـ في الرُبع الأول من القرن الرابع عشر الميلادي ـ لم تكن الكنيسة قد توصَّلت بعد، إلى نصّ موحد لكتاب البصخة (أي للنص) المعمول به الآن. فقد أشار ابن كبر في موسوعته الطقسيَّة «مصباح الظلمة وإيضاح الخدمة» في الفصل الثامن عشر، إلى وجود عِدة بصخات معمولٍ بها في عصره وهي: بصخة المصريين[٣٢] (أهل القاهرة)، وهي غالبًا التي كانت خاصة بالكنيسة المعلقة، وبصخة الإسكندرانون[٣٣]، والبصخة السدمنتيَّة[٣٤] (نسبة إلى رهبان أديرة سدمنت الجبل ببني سويف)، وبصخة دير شهران[٣٥] وهو المعروف الأن بدير العريان في المعصرة. كما ذكر ابن كبر أيضًا أن أهل الصعيد[٣٦] كان لهم كتابٌ خاصٌ بهم في أيام البصخة اسمه «الكفوس؟»، وأخيراً بصخة دير القديس أنبا مقار بوادي النطرون[٣٧].

ش (١٢٢٠م)، وهذا المخطوط كان وقفًا على كنيسة السيدة العذراء بالمعلقة بمصر القديمة. وسيتم تقديم دراسة تفصيلية عن هذا المخطوط الهام إن شاء الرب وعشنا. مُرفق صورة للمخطوط نهاية المقال.

[٣١] الأخ وديع الفرنسيسكانيّ، «المؤتمن بن العسّال (مقدمة فى البصخة المقدسة) »، مجلة مدرسة الإسكندرية، إصدار كنيسة مار جرجس إسبورتنج، السنة الأولى – العدد الثاني، مايو – أغسطس ٢٠٠٩، ص ٩٤-٩٥.

[32] A. Wadi, Abū al-Barakāt Ibn Kabar, Miṣbāh al-Żulmah (cap. 18), op. cit., p. 259 - 278.

[33] Ibid, p. 274.

[34] Ibid., p. 264.

[35] Ibid., p. 257.

[36] Idem.

[37] Ibid., pp. 257, 278- 280.

ختـامـًا

ونستخلص ممّا سبق أن أسبوع البصخة المقدسة لم يكن له شكل وترتيب مُستقل، حتى القرن الثاني عشر (زمن البابا غبريال الثاني بن تُريك)، كما هو متعارف عليه الآن. ولعلّ ما قام به البابا السابق ذكره ليس إلاَّ مرحلة أولى لبدء تطوُّر انتخاب قراءات البصخة المقدسة الخاصة بأهل مصر، حيث لم يتم تعميم وتثبيت بصخة موحَّدة حتى زمن بن كبر في القرن الرابع عشر (كما ذكرنا سابقًا). فلم يكن هناك نصٌّ موحّدٌ لكتاب البصخة فى الكنيسة القبطية، حتي بعد عصر ابن كبر نفسه، حيث أضيفت بعض الصلوات والقراءات والألحان فيما بعد، ويظهر هذا واضحًا من وجود بعض القراءات أو النبوءات في بعض النسخ دون الأخرى.

وما قدمناه ليس سوى نواة لدراسة بدء تطور طقس هذا الأسبوع الهام في عبادتنا. ومن خلال هذه الدراسة سنقدم تطور طقس البصخة المقدسة بحسب طقس الكنيسة القبطية من خلال محورين أساسين:

المحور الأول: هو دراسة تطوُّر طقس البصخة من خلال دراسة تفصيلية لأقدم المخطوطات القبطيّة المتاحة لدينا حتى الآن.

المحور الثانى: نشر بعض صلوات البصخة التي توجد في مخطوطاتٍ دون الأخرى وغير المتداولة في النسخ التي نستخدمها الآن.

وسنراعى في ذلك عدم تكرار الدراسات التي تمَّت سابقًا في هذا المجال ولكن سنأخذ نتائجها بعين الاعتبار أثناء دراسة باقي المخطوطات. ومن هذه الدراسات، على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ نسخة مخطوط مكتبة المتحف البريطاني بلندن رقم ٥٩٩٧ والمؤرخة بسنة ٩٩٠ش (١٢٧٣م) والتي نشرها الدكتور برومستر *Burmester* في مجموعة Patrologia Orientalis تحت عنوان « Le lectionnaire de la

semaine sainte» [٣٨] والتي اعتقد الأستاذ يسَّي عبد المسيح أنها أقدم نسخة في العالم[٣٩].

وقد نشر أيضًا هذا العالم، الدكتور برومستر عِدّة دراسات عن مخطوطات البصخة المقدَّسة وهي كالآتي:

- «The Coptic - Greek - Arabic Holy Week Lectionary from Scetis», BSAC, XVI, 1961-1962, 83-137.
- «The Bodlein folio and further fragments of the Coptic - Greek - Arabic Holy week lectionary from Scetis», BSAC, XVII, 1963-1964, 35-48.

٢. نسخة مخطوط (٩ قبطي) من المكتبة الوطنية بفيينا من القرن الرابع عشر باسم «كتاب دلاَّل أسبوع الآلام من دير البرموس» [٤٠].

٣. مخطوط ترتيب البصخة بدير البرموس، تاريخه ٢٢ أمشير ١٠٤٥ للشهداء (الخميس ٢٤ فبراير ١٣٢٩م)، نقلاً عن: القمص أرمانيوس حبشي شتا البرماوي، «أسبوع الآلام وكتاب البصخة»، مجلة رسالة المحبة، السنة الخامسة، العدد الرابع، إبريل ١٩٣٩م – برمودة ١٦٥٥ ش.

4- The Vienna folio and fragments of the Coptic - Greek - Arabic Holy week lectionary, par Marria Cramer, BSAC, XIX, 49-55.

٥. وأخيرًا، نسخة مخطوط or. 243 عربي / يوناني محفوظ بمكتبة جامعة ليدن بهولندا ويرجع تاريخه إلى ٩٨١ ش (١٢٦٥م).

---

[38] Le lectionnaire de la semaine sainte, *Patrologia Orientalis*, XXIV, 1933, p. 169-294 and Le Lectionnaire de la semaine sainte, *Patrologia Orientalis*, XXV, 1939, p. 175-485. It contains the Coptic text and French translation of the oldest found manuscript of Pascha Lectionary.

[٣٩] سيتم تقديم دراسة عن أقدم مخطوط للبصخة المقدسة المتعارف عليها لدينا حتى الآن في العدد القادم إن شاء الرب.

[٤٠] انظر: مجلة ORIENS CHRISTIANUS المُجلَّد الـ [٥٠] سنة ١٩٦٦م، راجع: الكتب الطقسية في الكنيسة القبطية (ج ٣)، في فيينا (٩ قبطي) من القرن الـ ١٤، من المكتبة الوطنية، كتاب دلاَّل أسبوع الآلام في دير البرموس، ألماني / عربي / قبطي، مع مُلخَّص إنجليزي في النهاية، من صفحة ٧٢ – ١٣٠.

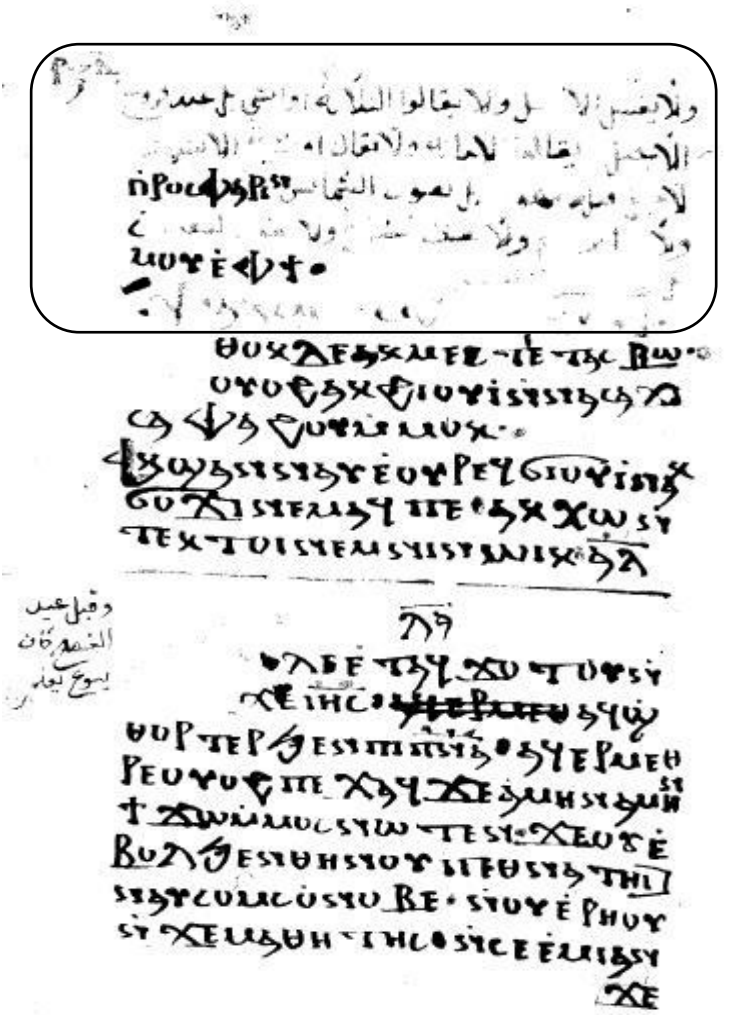

صورة الورقة (١٦٤ظ) من مخطوط ٩٠ قبطي، بالمكتبة الرسولية بالفاتيكان

صورة الورقة (٨ج) من مخطوط ١٩ قبطي، بالمكتبة الأهلية بباريس

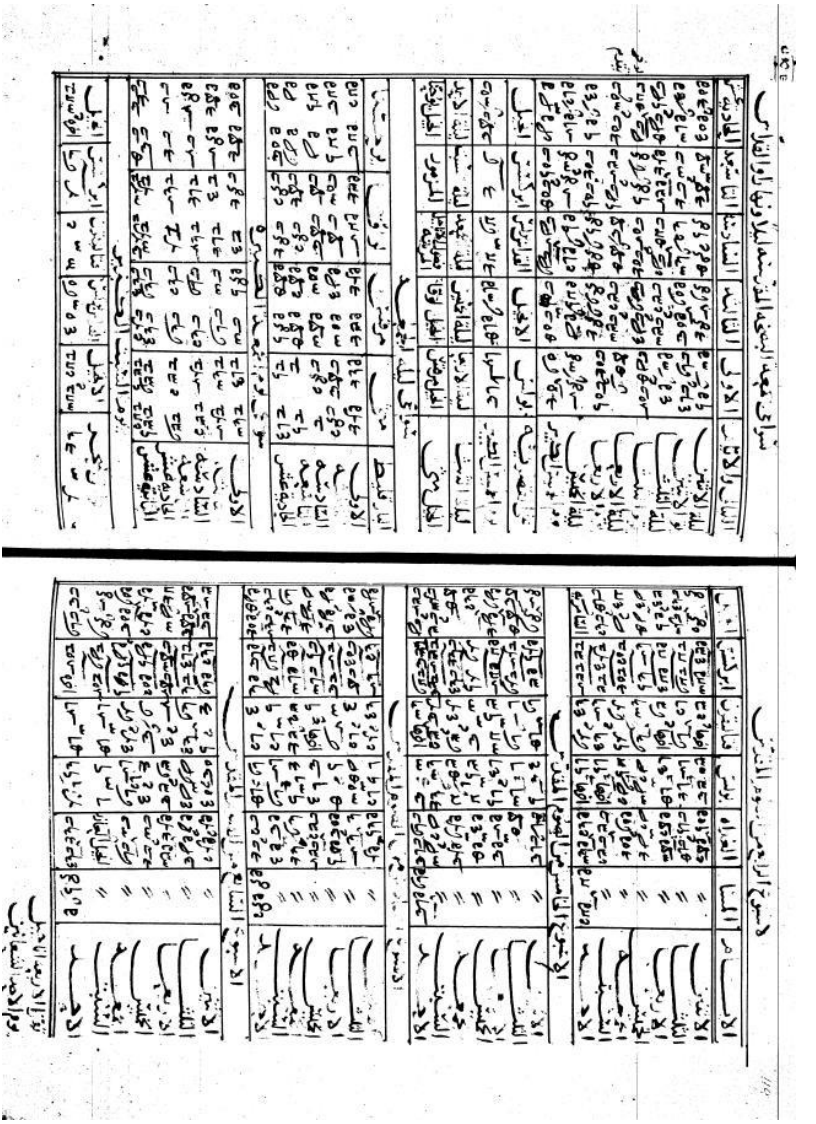

صورة الورقة (٢٢٥ظ) من مخطوط OR. 425 محفوظ بالمكتبة البريطانية